الفصل الثانى عشر

العقوبة فى نظر علماء الاسلام

obeikandl.com

obeikandl.com

قبل أن نتكلم عن العقوبة فى نظر فلاسفة الاسلام نقول : ان الغرض منها فى التربية الاسلامية ... الارشاد والاصلاح ، لا الزجر والانتقام (١) ولهذا حرص المربون من المسلمين على معرفة طبيعة الطفل ومزاجه قبل الاقدام على معاقبته وشجعوه على أن يشترك بنفسه فى أن يصلح الخطأ الذى أخطأه ، وتناسوا غلطاته وهفواته بعد اصلاحها .

وان روح الرفق والعطف والشفقة تظهر بوضوح فى التربية الاسلامية عند معاقبة الطفل فقد اشترط للعقوبة البدنية شروط وهى :

١ ـ ألا يضرب الطفل قبل أن يبلغ العاشرة من السن .

٢ ـ ألا يزيد الضرب على ثلاثة أسواط . وأعتقد ان المقصود بالأسواط هنا العصى لا الأسواط النوبية .

٣ ـ أن يعطى الطفل الفرصة فى أن يتوب عما فعل ويصلح الخطأ دون الالتجاء الى ضربه أو التشهير به .

ومن هذا يتضح بعد النظر فى التربية والشفقة والرأفة فى معاملة الطفل وأن روح العطف والشفقة فى معاقبة الطفل لم يمنع من استعمال الحزم والشدة وأساليب القوة معه لزجره ... اذا اقتضت الضرورة ذلك.

وقد عنى فلاسفة التربية الاسلامية بموضوع العقوبة عناية كبيرة سواء أكانت عقوبة معنوية أم بدنية وأجمعوا على ان الوقاية خير من العلاج . ولهذا نادوا باتخاذ كل وسيلة لتأديب الأطفال وتهذيبهم من الصغر حتى يعتادوا أحسن العادات فى الكبر فلا نحتاج الى أن نعاقبهم .

ويرى ابن سينا أنه يجب البدء بتربية الطفل وتعويده الخصال الحميدة قبل أن ترسخ فيه العادات القبيحة لأنه من الصعب أن يتخلص منها اذا اعتادها وتمكنت من نفسه . واذا اضطر المربى الى الالتجاء الى العقوبة وجب عليه أن يحتاط كل الحيطة ويتخذ الحكمة فى تحديدها . وقد نصح ألا يعامل المعاقب بالشدة والعنف فى البدء بل باللين واللطف

---

(١) ارجع الى الفصل العاشر « العقوبة قديما وحديثا من كتاب (الاتجاهات الحديثة في التربية) للمؤلف .

ويستعمل معه الترغيب تارة والتخويف تارة أخرى · ويستخدم العبوس والتوبيخ والتأنيب اذا اقتضى الأمر · وأحيانا يكون النصح والتشجيع او المدح أجدى أثرا فى الاصلاح من التوبيخ والتأنيب · ومعنى هـــذا أنه يجب أن يعامل كل طفل المعاملة التى تناسبه وأن تدرس كل حالة على حدة ويعالج كل داء بما يصلح من الدواء ·

واذا اضطر المربى الى معاقبة الطفل فان ابن سينا يرى ألا يلجأ الى العقوبة الا عند الضرورة ، ولا يلجأ الىالضرب الا بعد التهديد والوعيد وتوسط الشفعاء ·· لاحداث الأثرالمطلوب فى نفس الطفل(١) على أن تكون الضربات الأولى موجعة حتى تحدث فى نفس الطفل الأثر اللازم وتجعله ينظر الى عقابه بعين الجد واذا كانت الضربات الأولى غير موجعة فان الصبى يعد الضربات كلها هينة وينظر الى العقاب نظرة استخفاف ·

واننا نتفق مع ابن سينا فى جميع آرائه فى العقوبة الا فى النقطة الأخيرة وهى أن تكون الضربات الأولى موجعة لأن ايلام الطفل قد يؤثر فى نفسيته وقد يضر جسمه ومن الخير أن نبحث عن الباعث الذى دفع الطفل الى ارتكاب الذنب ونتدارك هذا الباعث ونعمل على اصـــلاحه بطريقة أخرى غير الضرب الموجع ·

العقوبة فى نظر الغزالى :

يرى الغـزالى أنه يجب على المربى أن يعـرف نوع المرض وسن المريض فى حالة تأديب الأطفال وتهذيبهم لأن المعلم فى نظره كالطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم وأمات قلوبهم · ومعنى هذا أن يعامل كل طفل المعاملة التى تلائمه ويبحث عن الباعث الذى أدى الى الخطأ وعن سن المخطىء ويفرق بين الصغير والكبير فى التأديب والتهذيب ويكون كالطبيب الماهر الذى يفحص علة المريض ويشـخص مرضه ويصف له العلاج الذى يناسبه ·

وينبغى اذا ضربه المعلم ألا يكثر من الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان ·

وكان الغزالى ضد الاسراع فى معاقبة الطفل المخطىء فقد نادى

(١) ابن سينا في كتاب السياسة صفحة ١٢ .

باعطائه فرصة ليصلح خطأه بنفسه حتى يحترم نفسه ويشعر بالنتيجة ٠٠ ومدحه وتشجيعه اذا قام بأعمال حميدة تستحق المكافأة والمدح والتشجيع ٠ ولم يقل باللوم والزجر والتوبيخ لأن التشجيع يدخل السرور على النفس فتتشجع وتتقدم فى حين أن التوبيخ يؤدى الى الحزن والخوف وقلة الثقة بالنفس ٠

العقوبة فى نظر العبدرى :

ويرى العبدرى (١) أن من الواجب التفكير فى طبيعة الطفل المخطىء فان نظرة عابسة اليه قد تكون كافية لزجره واصلاحه ٠ وقد يحتاج طفل آخر الى استعمال التوبيخ والتأنيب فى عقوبته ٠ وقد يستدعى الأمر مع نوع آخر من الأطفال ضربهم وتحقيرهم ٠ ويجب ألا يلجأ المربى الى استعمال العصا الا فى حالة اليأس من نجاح طريقة الاصلاح واللين والشفقة ٠ ومن الخير دائما أن يقلل المربى من اتباع الشدة والعنف ٠ واذا اقتضت الضرورة توقيع عقاب على الطفل فانه يكفى ثلاث ضربات خفيفة ٠ وعلى أية حال لا ينبغى أن يتجاوز عدد الضربات عشرا ٠ وقد نقد العبدرى بشدة الطريقة التى بها تستعمل عصا أغصان شجر اللوز وسيقان النخل والسياط « الكرابيج » النوبية والفلقة فى ضرب الطفل وعقوبته ٠ والواقع أن استعمال العصا كان عاديا فى تربية النشء فلم ينج منها أبناء الخلفاء والأمراء ٠٠٠ واننا نوافق ابن العبدرى فى آرائه فى عقوبة الطفل لأنها تتفق مع العقل والمنطق والتربية وعلم النفس والخبرة والتجربة ٠

ابن خلدون والعقوبة :

كان ابن خلدون ضد استعمال الشدة والقسوة فى تربية الأطفال حيث قال : « من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر ، وضيق على النفس فى انبساطها ، وذهب بنشاطها، ودعاه الى الكسل ، وحمله على الكذب والخبث خوفا من انبساط الأيدى بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة ولذلك صارت له هذه عادة وخلقا وفسدت معانى الانسانية التى له » واننا نتفق معه فى رأيه وليس لدينا أى اعتراض عليه ٠ وقد أسهب ابن خلدون فى توضيح ما ينشأ من الأثر

---

(١) فى الجزء الثانى من كتاب المدخل ص ١٦٤ ٠

السيىء بسبب القهر واستعمال الشـــدة والعنف فقال : « ان من يعامل بالقهر يصبح حملا على غيره ، اذ هو يصبح عاجزا عن الذود عن شرفه وأسرته لخلوه من الحماسة والحمية على حين يقعد عن اكتساب الفضـائل والخلق الجميل ... وبذلك تنقلب النفس عن غايتها ومدى انسانيتها » .

وقد صدق ابن خلدون فى رأيه فالقسوة مع الطفل تعوده الجبن وتبعده عن الحماسة والشجاعة وتشعره بالظلم دائما .

وفى النهاية لخص ابن خلدون آراء فلاسفة التربية الاســـلامية فى العقوبة حينمـــا اقتبس نصيحة هارون الرشـيد لمؤدب ولده الأمين فذكر أن الرشيد طلب الى الأحمر مؤدب ولده ألا يدع ساعة تمردون أن يغتنم فائدة تفيده من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، وألا يمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه ، ويقومه ما استطاع بالقرب والملاينة فان أباهما فعليه بالشدة والغلظة (١) .

فالتربية الاســـلامية تتفق كثيرا مع التربية الحديثة التى تعمل للاصلاح وتفكر فى الاصلاح وتبتعد بقدر الاستطاعة عن القهر والقسوة مع استعمال اللين والشفقة فى العقوبة .

« أنظر موضوع العقوبة فى كتاب الاتجاهات الحديثة فى التربية »

نحن والعقوبة المدرسية :

نعتقد أن العقوبة المدرسية لم توضع للقصـــاص أو الانتقام بل وضعت لاصـــلاح المعاقب وحماية بقية التلاميذ . فالطفل الذى يعبث بنظام حجرة الدراسة يجب أن يحمى زملاؤه من شره بوضعه بعيدا عنهم لعدم احترامه حقوق الجماعة ورعاية مصلحتها .

وان العقاب البدنى ليس بعلاج ناجع يحسم الداء ويبرىء العلة بل قد يكون سببا لتفاقم المرض وتطاول العلة . والعقاب الأدبى يؤثر فى التلميذ تأثيرا بالغا ، لايبلغه تأثير أى عقاب بدنى . فالتلميذ الذى ينتخب لمراقبة حجرة الدراسة ، ثم يرتكب ما لا يتفق وشعار المدرسة ، فيفصل ، وينتخب آخر لرياسة الفصل ... يؤثر فيه هذا النوع من العقـــاب الأدبى تأثيرا نفسيا شديدا ويود أن تعود اليه ثقة زملائه .

---

(١) ارجع الى مقدمة ابن خلدون ص ٤٩٤ ــ ٤٩٥ .

ويجب على المربى أن يذكر أن هناك فرقا بين طفل وآخر فى طبعه ومزاجه وميوله وأخلاقه ويعرف تلاميذه معرفة حقة ليعامل كلا منهم المعاملة التى تليق به · فمن التلاميذ من تكفيه الاشارة ، ومن لا تروعه المقالة ومن يتألم اذا عوقب بالحجز آخر اليوم المدرسى ومن يجد مسرة فى هـذا الحجز ومن يحزن كل الحزن لطرده يوما من المدرسـة ومن يسر كل السرور لغيابه عنها ·

والحق أن كل تلميذ يعد قضية مستقلة قائمة بذاتهـا يجب أن ننظر اليه نظرا خاصا اذ أن ما يلائم هذا الطفل من العقاب ربما لا يلائم الآخر ·

فاذا أردنا أن ننجح فى تعليمنا وجب علينا أن نفكر فى كل تلميذ ونعاقبه بما يناسبه بعد أن نزن ذنبه ونعرف الحافز عليه · واذا شـعر المخطىء بذنبه وكان واثقا بعطف المدرس نحوه مد يده طالبا تنفيذ العقوبة شاعرا بالعدالة ملتمسا الرحمة مصمما على التوبة وعدم العودة الى ما فعل وبذلك نصـل الى الغرض من العقوبة وهو الاصـلاح · وما أجمـل قول المتنبى :

اذا أنت أكرمت الـكريم ملـكته ... وان أنت أكرمت اللئيم تمـردا
فوضع الندى فى موضع السيف بالعلا ... مضر كوضع السيف فى موضع الندا
وما قتل الأحرار كالعفـو عنهمو ... ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا ؟

ويجب الا يمس نوع العقوبة كرامة الطفل والا يكون فيها اهانة له كأن تقول ان هذا التلميذ سرق كذا وتعلن هذا أمام المدرسة · فان للطفل شخصية يجب أن تراعى وكرامة يجب أن نحافظ عليها ·